

# سُورَةُ الْمُزَمْلٍ



النَّزُولُ: مكية، وهي من أوائل ما نزل.

## المقصود:

- ١ - فضل قيام الليل، وأثره في القرب إلى الله.
- ٢ - تقرير البعث بذكر بعض أحوال يوم القيمة.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُرَزَّلُ ﴿١﴾ قُرْأَلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَصْفَهُ أَوْ أَقْصَصُ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَقِيلُ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُنْقِلُ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاسَةَ إِلَيْلٍ هِيَ أَشَدُ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي أَنَّهَارٍ سَبِحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَبَيْلَ إِلَيْهِ تَبَتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

## التفسير:

- ٤ - يخاطب الله العلي العظيم رسوله الحبيب محمد ﷺ: يا أيها المخالفُ بثيابه، دع التلففَ، وقم إلى الصلاة متقرّباً بها إلى الله، ومعدداً نفسك لتحمل أعباء الدعوة ومتطلباتها، واقسم وقت الليل بين القيام في الطاعة والعبادة، وبين الراحة والنوم، بجعل معظم الليل أو نصفه أو ثلثته للقيام والعبادة، وباقيه للراحة والنوم، واقرأ القرآن بتراوٍ وتمهلي، مع تبيين حروفه

وألفاظه؛ ليكون أعونَ لك على حضور القلب والفهم والتأمل في معنى ما تقرأ .

**٥** - في هذه الآية إعلامُ النبيِّ ﷺ بأنَّ ما سينزل عليه من الآيات كلام عظيم القدر جليل المقام، قوي التأثير، يحوي المعانِي العظيمة، والتوجيهات السامية. وفي هذا الإعلام تهيئة له أن يستعدَّ لما سيلاقيه من أحاديث جسامٍ تتضمَّن التكذيب والإيذاء؛ بسبب إِنزال هذا القول الثقيل عليه .

**٦** - إن أوقات الليل أنسُب للطاعة والعبادة، وأكثر مناسبةً لحصول الخشوع، وأبعد عن الرياء، وأكثر بركة وثواباً؛ لما في أوقات الليل من الهدوء والبعد عن الصوارف، وإقبال القلب على الله، مع ما فيها من صعوبة وثقلٍ على النفس بهجُر الفراش، وترك النوم .

**٧** - أما أوقات النهار فإنها تمتلئ بالأعمال، وإنجاز المهام، وقضاء المصالح الدنيوية، فيصعب أن يحصل فيها فراغ القلب مما يشغلها .

**٨** - وحافظ على ذِكرِ الله تعالى في أوقاتك كلها، في الليل والنهار، ولا تصرِّفَنَك أعمال الحياة في النهار عن ذِكرِ الله، وأقبلْ في ذِكرِ الله عليه بجميع حواسِك، واقطع نفسك في وقت الذِّكر عن الصوارف، وفرغ قلبك للخشوع، والإقبال على الله .

**٩** - الله سبحانه مُلُكُ ما بين المشرق والمغرب، ويشمل ذلك الخلق كله، وهو وحده المعبود بحق، فاعتِمِدْ عليه في جميع أمورك، وتَوَكَّلْ عليه وحده، فهو صاحبُ القدرة المطلقة .

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَزْمَلِ فِي هَذَا النَّدَاء مِنْ بَابِ التَّلْكُفِ فِي نِدَائِهِ، وَالْتَّهْوِينِ عَلَيْهِ، وَتَبَيَّنَ الْحَالَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ لَقِيَهُ جَبَرِيلُ ﷺ أَوَّلَ مَرَةٍ فِي حَرَاءِ، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ يَرْجُفُ فَوَادِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «زَمْلُونِي زَمْلُونِي» (رواية البخاري، برقم ٣). وفي هذا دلالة على أنَّ الآيات الأولى من سورة المزمل من أوائل ما نزل من القرآن الكريم .

**٢** - أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِقِيامِ قَدْرٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَلَمْ يَأْمِرْ بِقِيامِ اللَّيْلِ كُلِّهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُشْقَةِ وَالصُّعُوبَةِ، وَيَتَفَوَّتُ هَذَا الْقَدْرُ بَيْنَ ثَلَاثِ اللَّيْلِ وَثَلَاثَهُ .

**٣ -** الأكمل في قراءة القرآن أن تكون مرئَةً مجوَدة متقنة، بتأنٍ وتمهُّل، وحضور قلب، وتفكير في المعاني، واستشعار عظمة قائل هذا الكلام؛ ليحصل الانتفاع منها، ويعظم الأجر بها.

**٤ -** وصف القرآن الكريم بأنه قول ثقيل؛ لأنَّه كلام الله الخالق العظيم، ولما حواه من المعاني الغزيرة، والتشريعات السليمة، ومحاسن الأخلاق، وقصص السابقين، وكل ذلك بنظم معجزٍ.

**٥ -** فضيلة المحافظة على ذِكر الله في أوقات المؤمن كلها، فلا ينشغل عنه في أثناء القيام بأعمال الدنيا ومعاشرها؛ ليبقى القلب موصولاً بالله في جميع الأحوال والأوقات.

**٦ -** الأمور العظيمة بحاجة إلى تهيئه وإعداد، ومن أعظم الأمور حملُ الرسالة، ونشرُ الدعوة إلى الحق والخير، وقد استجاب الرسول ﷺ والسابقون من أصحابه لأمر الله بالتاهيَّة لما هو قادم بقيام الليل، وترتيب الآيات، وإدامة الذِّكر. قالت عائشة رضي الله عنها : «إن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حَوْلًا حتى انتفخْتْ أقدامهم . . .». (رواه أحمد في المسند برقم ٢٤٢٦٩، وابن حبان برقم ٢٥٥١، وقال محققا هما: إسناده صحيح). فصبروا بعد ذلك، وتحمّلوا أعظم المشاق، وركبوا الأهوال، واستحقّوا لذلك نَصْرَ الله.

**٧ -** تضمنَتْ هذه الآيات ذِكر ثلاثة تعليقات للأمر بقيام الليل، أولها: أنَّ القيام في الليل أجمع للخاطر، وأكثر موافطة بين القلب واللسان، وثانيها: أنَّه أثقل على النفس من الطاعة في النهار، وبالتالي فهو أكثر تقويمًا للنفس، وتهذيبًا لها، وثالثها: أنَّ في النهار فسحةً من الوقت كافية للنوم، وقضاء المصالح، فليكن تفريغ الليل للقيام.

**٨ -** أمر الله تعالى بخمسة أمور وهي: قيام الليل، وترتيب القرآن، وذِكر الله، والانقطاع إليه، والتوكُل عليه.

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَيْلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْفَ الْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعَمَةِ وَمَهْلِهِمْ فَلَيْلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدِنَا آنَكَالًا وَحِيمَا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَدَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ وَكَانَتِ الْجَبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَيْنُكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَهُ أَخْدًا وَيْلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَيْبًا ﴿١٧﴾ الْسَّمَاءَ مُنْتَظِرٍ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَقْعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رِبِّهِ سَيِّلًا ﴿١٩﴾

## التفسير:

**١٠ -** واصبر على ما يصيبك من إيذاء وجهالة من قومك ، ولا تُقايد إساءاتهم بمثلها ، بل أعرض عنهم ، واترك الرد على إيذائهم بمثله ، واحتمل ذلك في سبيل الله ، وفي سبيل تبليغ دعوته .

**١١ -** وأعرض عن الذين كذبوك وأذوك ، ولا ترد عليهم بمثل ما فعلوا ، واتركهم ليأتوا جزاءهم بما يستحقون . ومعظم هؤلاء المكذبين من المترفين والمتتعين في حياتهم ، ولكن مدة هذا التنعم قليلة ستنتهي قريباً بموتهم ، أو بظهور الإسلام .

**١٢ - ١٣ -** أعد الله تعالى لهؤلاء المكذبين بالحق قيوداً عظيمة ثقيلة يوثقون بها ، وناراً هائلة يصلونها ، وطعاماً في جهنم يعلقون في حلوقهم ، ويغتصبون به ، وأصنافاً أخرى من العذاب المؤلم المهين ؛ جراء تكذيبهم بالحق ، والإعراض عنه .

**١٤ -** وسيكون هذا العذاب في اليوم الذي تزلزل فيه الأرض ، وتذكّر فيه الجبال ، وتحوّل إلى رمال هشة ضعيفة .

**١٥ -** إن إرسال رسولنا محمد ﷺ إليكم ؛ ليذرركم ويدعوكم إلى الحق ، ولتكون شاهداً لمن آمن وعلى من كفر ، ليس بدعاً من الأمر ، فقد سبقه إرسال رسل آخرین إلى أقوامهم ، ومنهم موسى عليه السلام الذي أرسل إلى فرعون وقومه .

**١٦ -** ولم يؤمن فرعون بموسى وبما أرسل الله ، فاستحق الهالك على

ذلك، وكان هلاكه عبرةً مدويةً، فقد أغرقه الله وجنوده في البحر، وفي ذلك عبرة لمن يخاطب بهذه الآيات.

**١٧** - فاحذروا - أيها الناس - عقاب الله لكم إن لم تؤمنوا، وسيكون هذا العقاب في يوم القيمة الذي يشيب منْ هُوله الصغار؛ لما يكون فيه من فظائع الأمور، ورهيب الأحداث.

**١٨** - من الأحداث الرهيبة في ذلك اليوم: تَشَقَّقُ السماء، وَتَمَزَّقُهَا وَتَنَاثِرُ ما فيها من كواكب ونجوم، وهو مشهد مخيف مُجلِّل. وإنَّ هذا اليوم واقعٌ يقيناً؛ لأنَّ الله أخبر عنه، ووَعَدَ بحصوله، ووَعَدُ الله لا يُخْلِفُ.

**١٩** - إنَّ ما ورد في هذه الآيات من ذِكْرِ العذاب والتوعُّد به عبرة عظيمة وموعظة، ودعوة إلى الإيمان والطاعة، وزَجْرٌ ورَدْعٌ للخلق عن الكفر والجحود، فليَعْتَمِمْ منْ شاء هذا التذكير، وينتفع من هذه العبرة، فيسلك طريق الإيمان وَدَرْبَ الهدى وسبيل الحق المبين.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - في أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بترك أمر المشركين وجزائهم إلى الله وعيده عظيم لهم، وترهيب كبير لمنْ كان له قلب يتعظ ويَعْيَى، وتعظيم لمقام النبي الكريم ﷺ، وإجلال لقدره.

**٢** - قال ابن عاشور: «لم تَرِدْ التَّعْمَة بفتح النون في القرآن الكريم إلا هنا، وفي سورة الدخان: (٢٧)، وهي في الموضعين في سياق الذِّم لِمَنِ اتَّصَفَ بها، حيث لم ينتفعوا ممَّا أنعم الله عليهم، وأقبلوا على الملدَّات، وأعرضوا عن الهدى». (يُنظر: التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٧٠).

**٣** - في ذِكْرِ بعض صور جزاء الكافرين في النار، رادعٌ كبير عن الكفر والفسق والعصيان، فإن شکلاً واحداً من أشكال هذا العذاب كافٍ لتنغيص الحياة، وتحويلها إلى عذاب دائم.

**٤** - في ذِكْرِ إهلاك فرعون بعذابٍ وَبَيْلٍ - مع ما كان عليه من جبروت واستعلاء وظلم، لم يصل طغاة مكة إلى بعضه - تخويف لهم، وإعلام بأنَّهم إنْ بَقُوا على حالهم - سَيَلْقَوْنَ مصيرًا كمصيره أو أشدَّ.

**٥** - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال في

حديث طويل يذكر أحداث يوم القيمة: «ثُمَّ يُقال: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فِيقال: مِنْ كُمْ؟ فِيقال: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تَسْعَ مِئَةً وَتَسْعَةً وَتَسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكِ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شَيْيَاً». (رواه مسلم، برقم ٢٩٤٠).

٦ - من رحمة الله بعباده إعلامهم بأحداث يوم القيمة وأحواله؛ ليستعدوا لها، ويترقبوها، ولا يفاجؤوا بها، ويُعدوا لهذا اليوم عدته من الإيمان والعمل الصالح. ومن رحمته سبحانه بهم عدم إلزامهم بالإيمان أو بالكفر، وترك المشيئة والاختيار لهم؛ ليكون فعل المرء حاصلاً من ذاته وتابعاً لاختياره، ويكون المرء بذلك مستحقاً للجزاء على ما اختار بمُحْضِ إرادته، دون إلزام ولا إجبار.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ الْأَيَّلِ وَنَصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَلِيفَةً مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقْدِرُ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ عَلَيْكَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرُءُوا مَا يَسِّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَاقْرُءُوا مَا يَسِّرَ مِنْهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَأَكْثُرُوا الْزَكُورَةَ وَاقْرُصُوا اللَّهَ قَرْصًا وَمَا نُذِيرُكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ كُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

### التفسير:

٢٠ - يُخبر الله تعالى عن عِلْمِه باستجابة النبي ﷺ وأصحابه للأمر بقيام الليل في أول السورة، وأنهم فعلاً قاموا نحو ثلثيه ونصفه وثلثه، فهو سبحانه العالم بجميع ما يحصل في الكون. ولما كان الاستمرار في قيام الليل وجوباً لا ندباً فيه مشقة عظيمة، حصل في هذه الآية تخفيف حُكمه من الوجوب إلى الندب في حق المسلمين جميعاً، وبيّنت الآية أسباب التخفيف، وهي: عِلْمُ الله أنَّ قيام الليل على وجه الوجوب غير مستطاع، وعِلْمُ الله تعالى بحصول العوارض التي تمنع من قيام الليل كالمرض والسفر والجهاد، إذ يشُقُّ على النفوس القيام في هذه الأحوال. وهذا التخفيف في الحكم رحمة من الله تعالى بعباده، ومراعاة لظروفهم وأحوالهم، ووجه الله سبحانه بعد ذلك المؤمنين من

عباده إلى فعل الطاعات والقربات، بأداء الصلاة على وجهها الأتم الأكمل، وإخراج الزكاة إلى مستحقها، والإكثار من التصدق، وعمل الخير في وجوه البر المتعددة، وسيجد كل امرئ لما عمل من طاعة وعمل صالح جزاءً أفضل منه، وأجرًا مضاعفًا عند الله الكريم العظيم. ومن رحمة الله بعباده جميًعاً توجيههم إلى الاستغفار، وهو طلب المغفرة من الله تعالى، ولا يستغني عن الاستغفار أحدٌ منخلق. والله سبحانه واسع المغفرة، رحيم بعباده.

### الفوائد والاستنباطات:

**١ - تأخر نزول هذه الآية عن أول السورة سنةً واحدة،** كما في الرواية عن عائشة رضي الله عنها: «إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ قِيامَ اللَّيلِ فِي أُولَى هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا حَتَّى انْفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتَمَتْهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ أَنْزَلَ التَّخْفِيفَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَصَارَ قِيامُ اللَّيلِ تَطْوِعًا بَعْدَ الْفَرِيضَةِ». (رواه أحمد في المسند برقم ٢٤٢٦٩، وابن حبان برقم ٢٥٥١، وقال محققاً: إسناده صحيح).

**٢ - من رحمة الله بعباده التخفيف عنهم في العبادات،** ومن ذلك تخفيف وجوب قيام الليل إلى الندب، إذ يُشُّقُ على الناس القيام كل ليلة؛ لما يعرض لهم من مرض وسفر وقتال، ولجاجة أجسامهم إلى الراحة والنوم بعد عناه النهار في طلب الرزق والمعاش. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥٣/١٩، والتحرير والتنوير: ٢٨٥/٢٩).

**٣ - الاستغفار عبادة عظيمة القدر، عالية المقام، وهي مشروعة من الطائع والعاصي، وفي كثير من الأحوال وفي أعقاب العبادات، وبها يستدرك ما عسى أن يقع في الطاعات من تقصير.**

**٤ - علم التخفيف في حكم قيام الليل من قوله تعالى:** ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: إنه لم يَعُدْ مُحَدَّداً بنصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه، فيحصل القيام بأي قدرٍ مهما قلَّ، ولم يَعُدْ واجباً، بل هو مندوب، والمراد بالقراءة في الآية الصلاة، وهو من إطلاق البعض على الكل، وفيه إشارة إلى جواز القيام بتلاوة القرآن والذِّكْر، والتسبيح والاستغفار.

**٥ - يلحظ في هذه الآية الاعتناء بدقة الوقت وتفاصيله، فقد ذُكر فيها**

ٌّلْٰلُ لِّلَّيْلِ وَنَصْفُهُ وَلِلَّيْلَةِ، وَمَا هُوَ أَدْنَى مِنْهَا، وَفِي هَذَا دُعْوَةٌ لِلِّاعْتَنَاءِ بِالْوَقْتِ،  
وَالْإِهْتَمَامُ بِهِ وَبِأَجْزَائِهِ الدُّقِيقَةِ.

٦ - احتوت سورة المزمل على تقسيم بديع للمهامات في اليوم على النحو

التالي :

- أ - بَدْءُ الْيَوْمِ بِقِيَامِ الْلَّيْلِ، وَتَرْتِيلِ الْقُرْآنِ.
- ب - الْعَمَلُ الْجَادُّ فِي النَّهَارِ.
- ج - الإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالتَّحَلُّقُ بِالصَّبْرِ.
- د - اسْتَحْضَارُ الاعتبارِ.